

التماهي وعلاقة المادة بالصورة في الفلسفة والأبعاد الروحية للشعائر الحسينية

م.م. خلود عبد الخالق السالم

مركز التخطيط الحضري والإقليمي/ جامعة بغداد

المقدمة:

للمشهد المقدس أثر كبير في نفوس البشر منذ القدم، حيث كان الإنسان في الحضارات السحيقة السومرية في العراق والفرعونية في مصر والرومانية واليونانية والهندوسية... وغيرها من الحضارات السابقة يتقرب إلى الآلهة عن طريق تقديم القرابين على مذابح المشاهد المقدسة والتي كانت في الغالب هي المعابد التي كانت مقرات للحكم وتواجد الملوك أو الآلهة، تقرباً وطلباً لقضاء الحاجات.

الإنسان اليوم بعد أن عرف الله سبحانه وتعالى وترك عبادة البشر والحجر، عبده وأخذ يتقرب منه بوسائل شتى أهمها عدم الشرك به وإقامة العبادات. نحن المسلمون أرسل الله لنا نبينا محمد (ص) ليعلمنا تعاليم ديننا وينور حياتنا ويخرجنا من الظلمات إلى النور هو وأهل بيته الأطهار (ع) جميعاً. فتمسك بهم من عرفهم حق المعرفة ليقربوه من الله زلفى، اخذ يدعو ببركتهم شفاء المرض وقضاء الحاجة وتسهيل الأمر والكره.

فوجدت الشعائر الخاصة بالتقرب من آل البيت (ع) وكل يمارسها حسب معتقد خاص به ، ولا اعتراض على ذلك لان لهذه الظاهرة فلسفة عميقة كل شخص ينظرها ويفسرها حسب فكر معين، والذي يزيد من قوة هذه الظاهرة أو الشعائر وخاصة الشعائر الحسينية هو حب واعتقاد الناس المطلق بهم بصورة عامة وبالإمام الحسين (ع) بصورة خاصة، ليس في العراق فقط وإنما في جميع أنحاء العالم. قال لي أحدهم عندما أجريت مقابلة معه في زيارة العاشر من المحرم "الحسين الآن ليس للمسلمين فقط فهو أصبح شخص عالمي يرمز للسلام والمحبة ومحاربة الظلم ونصرة المظلوم"

فاخذ المحبون يتماهون ويتوحدون في شخص الإمام (ع)، لأنه بالنسبة لهم يعد أنموذجاً فريداً بالأخلاق الراقية والصفات الحسنة فيحاولون تمثله بالروح والعقل والاستذكار لما مر به الحسين من مصاعب إلى أن يصلوا إلى مرحلة الانتزاع وتكوين الإشكال والصور عنه فيزدادون حباً والتصاقاً بشخصه .

إذن الزائر عندما يتوجه لزيارة الإمام (ع) يمر بكل مراحل المعرفة وهي الحس، العقل، الاستذكار ثم

انتزاع الصورة الكاملة لحقيقة الإمام .

الإنسان دائما يبحث عن المعرفة كي يستفاد منها للوصول الى الهدف. ولكي يصلها يجب ان يعرف أصلها ومصادرها.

مشكلة البحث:

النقص في فهم ومعرفة ماهية التماهي بالشيء سواء كان شخص أو معنى مادي أو روعي .
هدف البحث:

التوصل إلى حقيقة الشعائر الحسينية وفهمها الفهم العلمي المعرفي لأدائها بالشكل الذي يليق بالتماهي بشخص الإمام (ع).

فرضية البحث:

تقام الشعائر الحسينية في المناسبات الخاصة بشكل عفوي ومعبر عن العلاقة الروحية للزائر والوافد والسكان كل حسب معتقده، ولكنهم يجتمعون في نقطة واحدة هي الإيمان المطلق والغير محدود بالقضية الحسينية، فيحاولون إثبات هذه العلاقة والإيمان من خلال ممارسات ما يسمى بالشعائر.

المبحث الأول: العلاقة بين المعرفة، المادة، الصورة وسيكولوجية التماهي:

١,١. أولاً - مصادر المعرفة :

للمعرفة عدة نظريات اعتبرت مصادر لها هي :

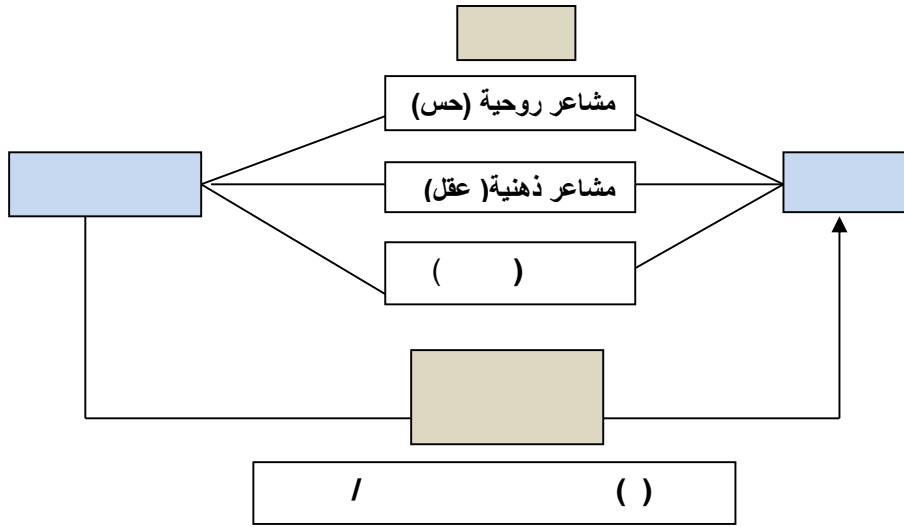
١,١,١. النظرية الحسية: هي أن الحواس الخمسة التي يمتلكها الإنسان ،هي بمثابة الوسائط لنقل صور الأشياء إلى الذهن ، وتشبه الكاميرات التي تلتقط صور مختلفة باختلاف أنواعها. ويعتقد أصحاب هذه النظرية إن المصدر الوحيد للمعرفة الإنسانية هي الحواس الخمسة.

٢,١,١. نظرية الأفكار الفطرية: أصحاب هذه النظرية ومنهم الفيلسوف ديكارت يعتقدون ان هناك مصدرين لانتقال التصورات والمعلومات إلى الذهن عند الإنسان هما الإحساس والفطرة. وذلك لان الإنسان خلق ومعه مجموعة من التصورات الذهنية فطرياً

٣,١,١. نظرية الانتزاع: هذه النظرية تبناها الفلاسفة المسلمون ،اجمعوا على ان هناك مصدرين للمعرفة

هما الحواس والعقل، واستندوا على قوله تعالى ﴿وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْإِبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ من الآية نرى ان الحواس هي مصدر المعرفة ، والعقل هو المصدر الثاني حيث له القدرة على إدراك الأشياء وتفسيرها ومعرفة معانيها تلك التي لا تصل لها الحواس.

الجزء الأول من الآية ﴿وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ينفي نظرية الأفكار الفطرية وهذا يعني انه عندما خلق الله الإنسان لا يعلم شيئاً أي لا توجد في ذهنه أي أفكار أو تصورات .إما الفقرة الثانية من الآية ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْإِبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يؤكد على الحواس الخمسة عند الإنسان التي تعتبر أجهزة تزوده بالصور الذهنية، وتتص الآية أيضا على القلب او الفؤاد اذ يعتبر في المفهوم الإسلامي القوة العاقلة .هذه النظرية تخلص إلى إن الإنسان خلق وله استعداد ذهني لتلقي المدركات الحسية وانتزاع مدركات أخرى منها .¹



٢,١.ثانياً: نظرية علاقة المادة بالصورة.:

الهيولي- أي "المادة - والصورة" هما أساس الفلسفة الإغريقية الميتافيزيقية التي بها فسر أرسطو العالم، وقال "أن الهيولي والصورة لا تنفصلان، فلا صورة من غير هيولي ولا هيولي من غير صورة"، فكل موجود يتكون منهما، فهما متلازمان لا ينفصلان إلا في الذهن. حيث تفسر في الذهن بشكل منفصل لتفهم، لذلك فالهيولي والصورة هما تعبيران متباينان في التفكير والماهية المجردة؛ ولكن في الوجود الحسي هما متلازمان غير منفصلان؛ فيمثل الهيولي جانبه السلبي والصورة جانبه الايجابي، "كالإشراق والإظلام في النور الضئيل، فإن الإشراق هو الزيادة في جانب النور، والإظلام هو النقص في الإشراق، وهما واحد في النور".

أرسطو لا يعني بالصورة الشكل فقط وإنما يعني بها جميع صفات الشيء، كاللون وجمال وقبح وخفة وثقل ولمعان وانطفاء..... الخ من الصفات، هو يعني بها أيضاً "العلاقة بين أجزاء الشيء بعضها ببعض، وعلاقة كل جزء بالكل. أي الصورة والشكل في التعبير العادي واحد؛ لكن الشكل في التعبير الفلسفي صفة واحدة من صفات الصورة."

ويقول أرسطو أن العالم عندما ينتقل من الهيولي إلى الصورة فهو يتحرك نحو غاية، كل شيء في الوجود يسير نحو غاية وله وظيفة يؤديها.^٢

. أبعاد هذه النظرية:

الموجودات المادية في الكون كل موجود فيها يتألف من عنصرين: مادة وصورة. لا موجود يوجد بمادة دون صورة، أو صورة بدون مادة. مثلاً: الكرسي يتألف من مادة وصورة، المادة هي الخشب يتكون منها الكرسي والطاولة والباب والصندوق، هذه مادة تعتبر عنصر مشترك. وهناك عنصر الصورة، يعني: هذه المادة تشكلت بصورة الكرسي مرة، بصورة الصندوق مرة ثانية، وثالثة بصورة الطاولة. إذن هناك عنصران متحدان متمازجان، لا يمكن أن توجد صورة بدون مادة، ولا أن توجد مادة بدون صورة، لا بد من اتحادهما وامتزاجهما حتى يوجد الشيء، وإلا فلن يوجد الشيء.^٣

نستنتج إن المادة هي واحدة والاختلاف في الصورة دائماً فالخشب هو مادة واحدة تشكلت بعدة صور

كرسي، طاولة، صندوق... الخ بشرط تلازمهما دائما . ابن رشد في فلسفته يدعوا المادة "واهبة الصورة" .
قد تكون الصور المتكونة صور شخصية كما في التوأمين فهما من مادة واحدة وهي النطفة التي تلتصق
بجدار رحم الأم ثم تبدأ بالحركة من صورة إلى أخرى كل مرحلة هي صورة تختلف عن التي قبلها لكنها
متكاملة معها، ليتكون التوأمين اللذان لا بد أن يكون هناك تمايز بين صورتيهما الأخيرة فالعلاقة إذن حركة
تكاملية . ﴿وَهُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^٤ .

حركة التكامل بين الصور أشار إليها القرآن الكريم: بقوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾، إذن هنا نستنتج ان النطفة هذه من أين جاءت؟ يعني ان لها مادة قبلها هي التي كونتها وهي
غذاء الرجل والمرأة، الغذاء من أين جاء؟ جاء من هذا الطين، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني
جدار الرحم، ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ
أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^٥ إذن هي مادة واحدة، تشكلت من صورة إلى صورة، إلى
أن أصبحت بالصورة الإنسانية الرائعة، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^٦ الحركة إذن هي حركة تكامل.^٧

وقد تكون الصور نوعية وتكون على نوعين هما التباين والتضاد والنوع الآخر هو التكامل، كما في
الشجرة المثمرة التي هي صورة عن مادة أصلية وهي البذرة بعد دسها في التربة تبدأ بالانتقال من صورة
الى أخرى متباينة فتكون جذر ثم ساق فأغصان ثم ثمار والصورة الأخيرة الشجرة المثمرة وهي الصورة
التكاملية، هذه الحركة انتقالية حيث انتقلت المادة من صورة إلى أخرى متباينة وصولا للصورة الأخيرة
وهي الصورة التكاملية التي تختلف كلياً عن المادة الأولى، إذن العلاقة هنا انتقالية .

وقد تكون هذه الصور متضادة كما بين صورة الإنسان والحيوان، إذ لا يوجد تكامل بينهما فهما مختلفين
ليس بالشكل فقط وإنما يختلفان في الجوهر أيضا^٨

٣,١. ثالثاً : علاقة هذه النظرية بالفكر الإسلامي :

لهذه النظرية تأثير على الفكر الإسلامي بثلاثة مواضع :

١,٣,١. جزء الأعمال: كل عمل يقوم به المسلم هو مادة يجزى عليه بمثله، الجزء هو صورة لمادة العمل

، الصلاة هي عمل يؤديه المسلم مفروض عليه، فالصلاة مادة صورتها الدنيوية الركوع والسجود، يجزي الله المسلم عن صلواته في آخرته شجرة في الجنة، إذن هذه الشجرة هي صورة الصلاة الأخروية، والعلاقة بينهما علاقة أثر بمؤثر، الصلاة هي مؤثر أنتج أثراً شجرة في الجنة، وتبقى الصلاة هي المادة التي أنتجت المؤثر والأثر وأصبحت بصورة أخرى. والعمل السيئ يجزي بمثله فهو المادة والصورة التي يتحول لهل في الآخرة قطعة من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^١ وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^{١٠}.

٢،٣،١. نشأة الإنسان: هناك نظريتان تفسر نشأت الإنسان هما النظرية الداروينية والنظرية الأخرى هي التي تنص على إن خلق الإنسان يمر بثلاثة أطوار أي ثلاثة صور مختلفة أصلها مادة واحدة هي النطفة التي تعلق برحم الأم، فهو يأخذ الطور أو الصورة النباتية في أول الخلق لأنه يكون نمو فقط بدون حس ولا تفكير ثم ينتقل إلى الطور أو الصورة الحيوانية عندما يبدأ بالحس والإرادة، بعدها ينتقل إلى الطور أو صورة الإنسان عندما ينمو العقل ويبدأ بالتفكير قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾^{١١} إذن ثلاثة أطوار مختلفة من مادة واحدة كل طور يكمل ما قبله، فالإنسان انتقل من صور إلى صورة عبر حركة تكاملية.

٣،٣،١. الإيمان: الإيمان شيئاً واحداً قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^{١٢} الإيمان مادة واحدة، لكن لها صور متعددة، الإيمان هو: عبارة عن العقيدة: وهي بعدة صور "اعتقاد القلب بالله، ورسوله، بأصول الدين الخمسة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد"، هذه الأصول الاعتقاد بها يُسمى إيماناً.

كذلك للاعتقاد عدة صور، الصورة الأولى: الصورة الفطرية، يقول القرآن الكريم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^{١٣} إذن هو اعتقاد فطري محض، يقول القرآن الكريم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^{١٤}.

الصورة الثانية هي: الصورة العقلية، التي يقول عنها القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^{١٥} هنا

تحول الإيمان من فطرة إلى فكر، وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^{١٦}، أي تحول الإيمان إلى صورة عقلية.

الصورة الثالثة: الصورة الحسية التي يراها القران الكريم أعظم الصور قال تعالى. ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^{١٧} هنا صورة حسية المؤمن يستمع الوحي فيبكي، فكل من ادرك النبي والأئمة عاش نعمة الإيمان الحسي، النبي محمد (ص) يخاطب الإمام علي (ع): "إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ"، إذن هذا الإيمان الإحساسي.^{١٨}

٤,١. رابعاً: الفلسفة الروحية لزيارة الحسين (ع)

١,٤,١. الشعيرة (جمعها الشعائر): ذكرت في القران الكريم قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾^{١٩} ويقول: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^{٢٠}

٢,٤,١. معنى الشعيرة:

الشعيرة تتكون من عنصرين: العنصر الأول: أنها عمل جمعي، ولا يمكن أن يكون عملاً فردياً. العنصر الثاني: أنها عمل يهدف إلى اتصال عالم الغيب بعالم المادة. القران عبر عنه بالنسك، فيقول: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾^{٢١} المنسك هو الشعيرة، إذن هما مفهوم واحد وهو العمل الجمعي الذي أريد به الاتصال بعالم الغيب.

القران يربط الشعيرة بالتقوى، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^{٢٢} يعني الهدف هو: تحصيل التقوى، وبالتالي الاقتراب من عالم الغيب.

٣,٤,١. فلسفة الشعيرة.

ما ذكر في الفقرة أولاً علاقة المادة بالصورة يتجسد في فلسفة الشعيرة، تحول الإيمان من صورة عقلية إلى صورة حسية يكون عن طريق الشعيرة، فلسفة الشعيرة هي تحويل المادة الإيمانية من صورة إلى صورة، مثلاً عندما نأتي لرمي الجمار، "رمي الجمار شعيرة ونسك"، وهو عمل يهدف إلى شيء، ان المؤمن

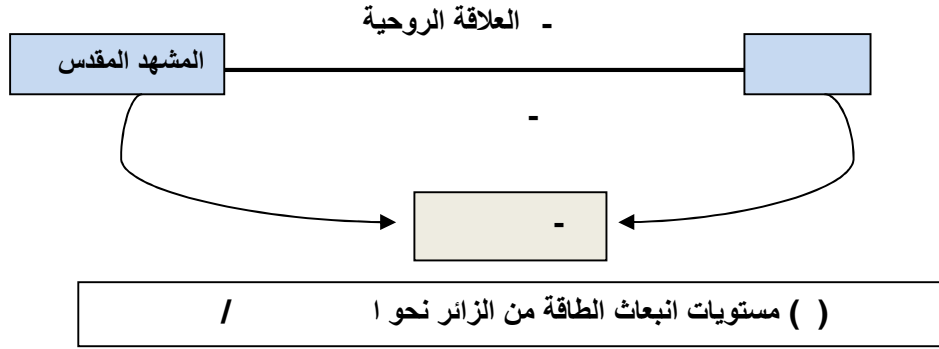
يرفض الشيطان لأنه يردد دائماً «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» هنا الرفض فكري، شعيرة رمي الجمار تحول من الرفض الفكري إلى الرفض الحسي لان هناك أحساس بطريقة أداء العمل، إذن هذه الشعيرة حولت رفض الشيطان من صورة عقلية الى صورة حسية، واصل الصورتين هي مادة واحدة وهي الشعيرة.^{٢٣}

٤,٤,١. فلسفة الشعائر الحسينية:

من فلسفة الشعيرة جاءت فلسفة الشعائر الحسينية وسميت بالشعائر لأنها عمل جمعي وليس فردي، تلك الفلسفة التي تروم لنقل الحسين (ع) من صورة فكرية، إلى صورة حسية، أن تعيش الحسين إحساساً . الشعائر الحسينية لها صور عديدة (الدمعة، البكاء، الموكب، الصرخة، الزيارة... الخ) كلها صور لمادة واحدة هي الشعائر الحسينية ،هدفها أن نعيش الحسين (ع) بالحس وليس بالعقل فقط ،لان الحسين هو مجموعة مبادئ وقيم الحسين هو: الحرية، التضحية ،الفداء، الكرامة ،العطاء، العبادة كل هذه المبادئ لتحويلها من صور فكرية إلى صور حسية يأتي دور الشعائر الحسينية للقيام بهذا العمل .

ومن الروح وأعظم واكبر هذه الشعائر هي الزيارات المليونية الزاحفة نحو قبر الحسين ،فهي خير مثال على العمل الجمعي الفطري الذي يراد به الاقتراب من الله فلسفته نقل الشعور بالإمام الحسين (ع) من الشعور الفكري العقلي الى الشعور الحسي ،ان تزحف الى كربلاء مشياً ورافقك الإحساس الوجداني الروحي بتخيلك كيف مشى (ع) الى كربلاء كيف تمرغ جسده الشريف بتراب كربلاء تحس الواقعة تشم رائحة الموت وتنعشك رائحة الحرية والفداء ومحاربة الظلم ،الى ان ترى المشهد المقدس عندها يتحول الإحساس الى جذب روحي لا مادي دون ان تشعر لحين دخولك الى داخل الحرم ، هذه هي فلسفة زيارة الحسين .

ورد عن الإمام الصادق (ع) قال: ”زيارة الحسين بن علي واجبة على كل من يقر للحسين بالإمامة من الله عز وجل“.



٥,١. خامساً: سيكولوجيا التماهي والطقوس الدينية في الزيارات المليونية:

١,٥,١. مصطلح "التماهي" Identification:

فسر البعض مصطلح التماهي على انه النَقْمُص أو التَّوَحُّد، أما علماء النفس يعرفونه بأنه: "سَيْرُورَة سيكولوجية في بناء الشخصية، تبدأ من المحاكاة اللاشعورية، وتتلاحق بالتمثيل ثم الاجتياح (الاستدخال أو النَقْمُص) للنموذج".^{٢٤}

فرويد أشار إلى المصطلح على انه " تلك العملية التي تقوم من خلالها ذات ما تتبني صفة أو أكثر، من صفات تعود لذات أخرى. لاحقاً " طور فرويد فكرته على أساس " أن الأنا والأنا العليا يبنيان على أساس سلاسل من التماهيات " لذا يغدو مفهوم التماهي موازياً " للعملية نفسها التي فيها تُشَيِّد الذات البشرية"^{٢٥}

٢,٥,١. التماهي بالإمام الحسين (ع):

منهم من فسر التماهي بالمفهوم السايكولوجي العام هو (التوحد)، أي "أخذ صفة أو أكثر من شخص يعدّ أنموذجاً وتمثلها نفسياً وسلوكياً"، أو إن الإنسان يتمنى أن يكون كما الشخص المتماهي به.. مصحوباً "بتعظيم قيمه ومثله العليا". الحسين (ع) يمثل " بطلاً ثورياً وأنموذجاً فريداً للأخلاق السامية ومنقذاً مخلصاً للمظلومين والفقراء"، الناس العاديين بينهم من يمارسون في حياتهم اليومية الكذب والنفاق والزيف والفساد والتزوير.. ، هؤلاء يتمنون أن يغتسلوا ويتطهروا من هذه الرذائل .. لذلك توجهوا إلى عملية التماهي بالحسين (ع).. إذ يتم من خلال هذه العملية استدخال قيم راقية الى داخل النفس لتحل محل الرذائل وتطردها .. فيشعر الشخص المتماهي كما لو أنه دخل حماماً وأزاح الأوساخ من جسمه،

وهذا الذي يحصل لدى الزائرين المتماهين بالحسين كأنهم غسلوا أنفسهم من الرذائل، وقد يعمونها على محو الذنوب أيضا.^{٢٦}

٣,٥,١. السلوك الطقسي. وقوة المعتقد:

الطقس الديني، يعني " توحداً نفسياً ومشاعراً وانفعالات مشتركة " خاصة في الزيارات المليونية لأنها جموع بشرية كبيرة، أما قوة المعتقد يعني " إسباغ القوة المطلقة على الأشخاص الذين يقصدون زيارة أضرحتهم وإشاعة الطمأنينة بالنفوس والتخلص من مشاعر الإحساس بالعجز والنقص". حيث يجري في الطقوس الجمعية تفرغ أو تنفيس للمكبوتات ويكون الزائر في حالة تحرر من القهر والانتكفاء على الذات والانتشاء الروحي والمشاركة بالعواطف الايجابية، ويشعر بزهو وتسامي بالروح في إحساس غامر ناتج عن الذوبان في جموع غفيرة يوحدتهم حضور مهيب لمناسبة استثنائية.^{٢٧}

بالرغم من أن جموع الزائرين تتوحد في أداء الطقوس والشعائر إلا انه يبقى لكل جماعة حس معين يختلف عن الجماعات الأخرى، فهم يؤدون الطقس والشعيرة وكل لسانه يلهج بمطلب في النفس دفين يحسه، فمنهم من يتوسط لدى الحسين (ع) لقضاء حاجة والآخر يطلب الشفاء من مرض وآخر يطلب الشفاعة ونرى جماعات أخرى تحمل الرايات الحمراء التي نقش عليها (يا لثارات الحسين) وكأنما تريد توصيل رسالة للإمام بالتأثر له ممن قتلوه، وهناك جماعات تراها وقد ملأ الدمع العيون وتخضبت للحي بالدمع خجلاً من الحسين (ع) لأنهم يشعرون إنهم مقصرون بحقه بقلّة الزيارة له، لذا يأتون مشياً على الأقدام ويتحدون كل الصعاب كي ينالون شرف الشفاعة والجزاء، وهذا الذوبان في أداء الطقس والشعيرة هو التماهي في شخص الإمام (ع) . وهذا ما رصدته حقيقة في زيارة العاشر من محرم في كربلاء من خلال إجراء المقابلات الشخصية مع شرائح مختلفة من الزائرين.

المبحث الثاني: الجزء الميداني للبحث:

في الجزء الميداني للبحث كان تغطية زيارة العاشر من محرم لهذا العام (٢٠١٦م) حيث وثقت يومي الثامن والتاسع من محرم مراسيم الشعائر الحسينية في مدينة كربلاء المقدسة ويوم العاشر من محرم في مدينة الكاظمية المقدسة.

كان حجم العينة ١٠٠ لقاء بين تسجيل صوتي أو صوت وصورة أو كتابة الأجوبة على الأسئلة التي وجهتها على الزائرين المتواجدين في شوارع المدينة .

محاوِر اللقاءات كانت :

١,٢. محاور اللقاءات التي أجريتها في كربلاء في يومي الثامن والتاسع من المحرم وفي الكاظمية في

اليوم العاشر منه لعام ١٤٣٨ هـ

تضمنت محاور اللقاءات والأسئلة ما يلي:

١- العلاقة الروحية بين الزائر والمشهد المقدس (مرقدي الإمامين عليهما السلام)

وبينه وبين مدينة كربلاء.

٢- الأجواء في المدينة والخدمات التي تقدمها للزائرين .

٣- مدى التفاعل مع الشعائر التي تقام في المدينة .

٤- سبب تحمل عناء السفر والمتاعب للوصول الى مدينة كربلاء.

٥- النصيحة والاقتراحات التي يقدمها الزائر .

كانت اللقاءات مع:

١- مع مدير عام مديرية التخطيط العمراني / كربلاء

٢- المهندس المعماري معاون مدير عام التخطيط العمراني/ كربلاء

٣- رئيس الشعبة الهندسية للعتبة الحسينية

٤- أصحاب هيئات خدمة الزائرين، أصحاب المواكب الحسينية

٥- أفراد القوات الأمنية والحرس والشرطة.

٦- أمر لواء علي الأكبر للحشد الشعبي وأفراد من الحشد جاءوا من قاطع نينوى للمشاركة بهذه المناسبة

٧- زائرين من جميع محافظات العراق وزائرين وافدين من خارج العراق من الإحساء في السعودية ومن

البحرين ولبنان، والاحواز وإيران.

١,١,٢. اللقاءات مع الزائرين وسكان مدينة كربلاء في يومي الثامن والتاسع من محرم ١٤٣٨ هـ

المقالات	المحور
<p>١٠٠% كان الجواب علاقة مطلقة غير محدودة ولا يمكن تقيسها بدون استثناء سواء من كانوا من سكنة المدينة أو الزائرين من بقية المحافظات أو الوافدين من خارج العراق</p>	<p>العلاقة الروحية بين الزائر والمرقد وبينه وبين المدينة</p>
<p>الخدمة المقدمة من سكان المدينة وأصحاب هيئات الخدمة وأصحاب الموكب وافراد الجيش والشرطة والقوات الأمنية وعمال النظافة وسحب المياه على مدى ٢٤ ساعة وبنسبة ٩٠% . أما راي الزائر من خارج المدينة وخارج القطر بالخدمة: إنها خدمة جيدة جدا من حيث المأكل وخدمات النظافة ما عدا السكن نسبة الخدمة ٦٠% حيث لم يتمكن قسم من الوافدين أن يجد أماكن في فنادق لذلك جعلوا مبيتهم في سرادقات الموكب أو افترشوا الأرض في أي مكان قريب من العتبات خاصة منطقة بين الحرمين والعتبتين مسؤولة بتزويدهم بمستلزمات المبيت</p>	<p>الخدمات العامة والسكن والخدمات البيئية (نظافة المدينة)</p>
<p>٩٠% من العينة هو شعورهم بمظلومية الإمام (ع) و وفاءً لتجديد العهد له بالنصرة ،وان هذا الرمز أصبح رمزاً عالمياً ولكل الأديان وليس للمسلمين وأهل العراق فقط . ١٠% ١- عادة مكتسبة من أهل المنطقة للغريب ومن الأهل للسكان الكريلائي خاصة وباقي سكان العراق بصورة عامة . ٢- من الأديان الأخرى كالمسيحيين مشاركة أخية المسلم بإحزانه لهذه الواقعة الأليمة ولانتشار المعرفة العالمية بالإمام الحسين في السنوات العشر او أكثر السابقة .</p>	<p>مدى التفاعل مع الشعائر الحسينية في مدينة كربلاء</p>

<p>٩٠% أن من أسافر لأجله يستحق تحملي عناء وتعب السفر ولأكثر من مرة في السنة .</p> <p>١٠% كانت الإجابة لو أتمكن ماديا كنت اذهب إلى كربلاء كل خميس للارتباط القوي بالإمام الحسين (ع)، في زيارة الأربعينية بعض الزائرين يقطعون آلاف الكيلومترات ومن مختلف الدول سيرا على الأقدام إلى كربلاء لاعتقادهم وارتباطهم الروحي بنصرة الأمام (ع).</p>	<p>سبب تحمل عناء السفر والمتاعب للوصول الى مدينة كربلاء</p>
<p>٨٠% المحافظة على إقامة الشعائر بالطرق الصحيحة والمحافظة على نظافة المدينة والمحافظة على البيئة لأنها مهمة للصحة خاصة مع الأعداد المليونية فيها المحافظة على هدوء الأعصاب وضبط النفس .</p> <p>٢٠% الغالبية من غير العراقيين كان ينتقد بعض الشعائر خاصة شعيرة التطبير وكل شعيرة تؤدي الى نزف الدم وبعض الشعائر التي لا تليق بهيبة أهل البيت (ع) وواقعة الطف وفاجعة الإمام الحسين وأهل بيته ممن كانوا معه .واقترحوا أن تبدل هذه الشعائر بالتبرع بالدم إلى قواتنا المسلحة وأفراد الحشد الشعبي وحتى المرضى الراقدين في المستشفيات ممن يحتاجونه بشكل ضروري</p>	<p>النصيحة والاقتراحات التي يقدمها الزائر</p>



٢،١،٢. اللقاءات مع الزائرين في مدينة الكاظمية يوم العاشر من محرم ١٤٣٨ هـ

المقابلات	المحور
العلاقة الروحية بين الزائر والشاهد المقدس مطلقة لا تكتم ولا تقيس وهذا ينطبق على الأماميين الحسين وموسى الكاظم عليهما السلام وبنسبة ١٠٠% . وذلك لان سكنة الكاظمية خاصة مرتبطين بمدينتهم	العلاقة الروحية بين الزائر والمرقد وبينه وبين المدينة

<p>ارتباطاً مطلقاً لارتباطهم بمرقد الإمام موسى الكاظم (ع)</p>	
<p>الخدمات المقدمة من أصحاب المواكب وأفراد الجيش والشرطة لحماية امن الزائرين والحفاظ على سلامتهم جيده وعلى مدار ٢٤ ساعة والتعامل جيد من حيث تقديم الخدمات والمأكل وبنسبة ٩٠% مشكلة السكن شكلت ١٠% لزوار الكاظمية ،خدمات النظافة لا بأس بها كما رأيت هناك أكوام من النفايات في أماكن متفرقة من المدينة هناك مشكلة بنسبة ٤٠%.</p>	<p>الخدمات العامة والسكن والخدمات البيئية (نظافة المدينة)</p>
<p>من لم يتمكن الذهاب إلى كربلاء شارك في إقامة الشعائر الحسينية في مدينة الكاظمية قرب مرقد الإمام موسى الكاظم(ع) إما أهالي الكاظمية فهم منذ القدم يقيمون مراسم عاشوراء في مدينتهم لانتمائهم وارتباطهم القوي بالإمام والمدينة ،حيث يقيمون كل أنواع الشعائر الحسينية حيث تنطلق من الأزقة في المدينة القديمة إلى شارع باب المراد وشارع باب القبلة .</p>	<p>مدى التفاعل مع الشعائر الحسينية في مدينة الكاظمية</p>
<p>١٠٠% وفاءً ونصرة وحب الإمام الحسين (ع) لشعورهم بمظلوميته في موقعة الطف في العاشر من المحرم ولتعزية الإمام موسى الكاظم باستشهاد جده الإمام الحسين وباقي أهل بيته (ع).</p>	<p>سبب تحمل عناء السفر والمتاعب للوصول الى مدينة كربلاء</p>
<p>٧٠% من أهالي الكاظمية المحافظة على إقامة الشعائر بالطرق الصحيحة والمحافظة على نظافة المدينة</p>	<p>النصيحة والاقتراحات التي يقدمها الزائر</p>

والمحافظة على البيئة لأنها مهمة للصحة خاصة مع الأعداد الكبيرة من البشر التي تؤم المدينة هذا اليوم المحافظة على هدوء الأعصاب وضبط النفس .
٣٠% الغالبية من غير العراقيين كان ينتقد بعض الشعائر خاصة شعيرة التطبير وكل شعيرة تؤدي إلى نزع الدم وبعض الشعائر التي لا تليق بهيبة أهل البيت (ع) وواقعة الطف وفاجعة الإمام الحسين وأهل بيته ممن كانوا معه .واقترحوا أن تبذل هذه الشعائر بالتبرع بالدم إلى قواتنا المسلحة وأفراد الحشد الشعبي وحتى المرضى الراقدين في المستشفيات ممن يحتاجونه بشكل ضروري.

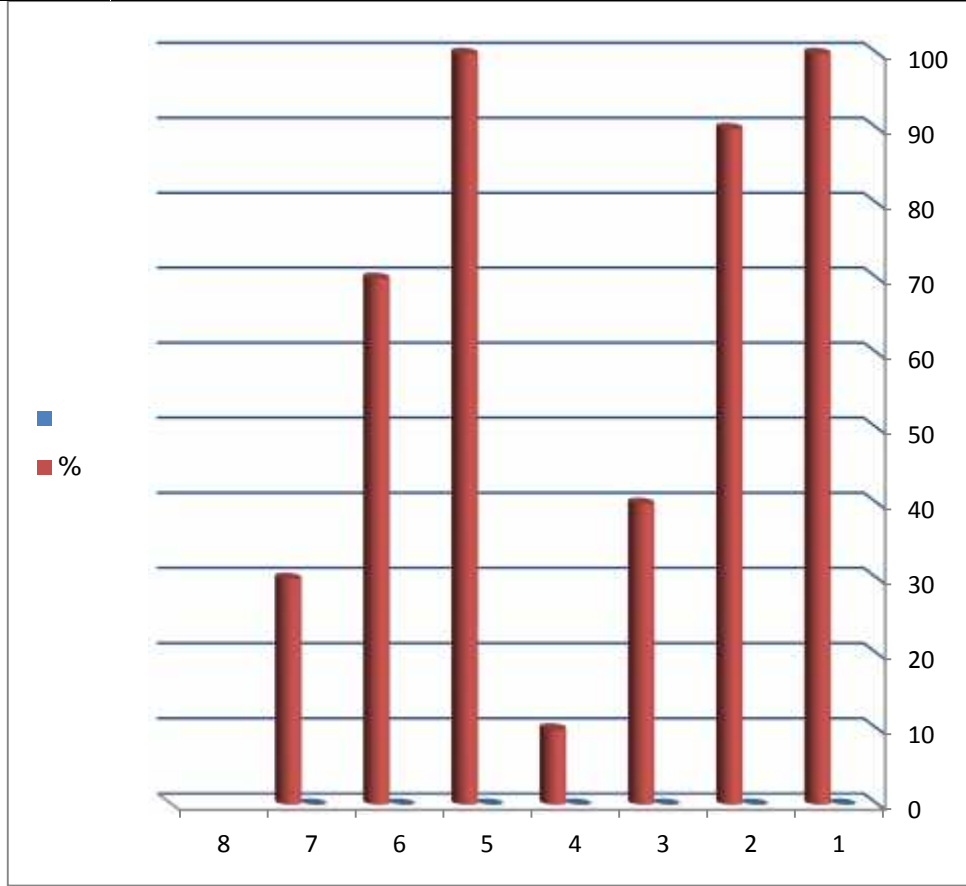




جدول (١) يبين النسبة المئوية لمحاور المقابلات في مدينة كربلاء

ت	المحور	السبب	النسبة المئوية
١	العلاقة الروحية بين الزائر والمرقد	العلاقة بين الزائر والإمام (ع) والحدث	١٠٠%
٢	الخدمات العامة والسكن والخدمات البيئية (نظافة المدينة)	الخدمات العامة والخدمات البيئية	٩٠%
٣		خدمات السكن	١٠%
٤	مدى التفاعل مع الشعائر الحسينية في مدينة كربلاء	شعورهم بمظلومية الإمام (ع)	٩٠%
٥		عادات مكتسبة والمشاركة بنشر المعرفة بهذا الحدث	١٠%
٦	سبب تحمل عناء السفر والمتاعب للوصول الى مدينة كربلاء	من أسافر لأجله يستحق تحملي عناء وتعب السفر	٩٠%
٧		الوضع المادي	١٠%
٨	النصيحة والاقتراحات التي يقدمها الزائر	المحافظة على إقامة الشعائر بالشكل الصحيح	٨٠%

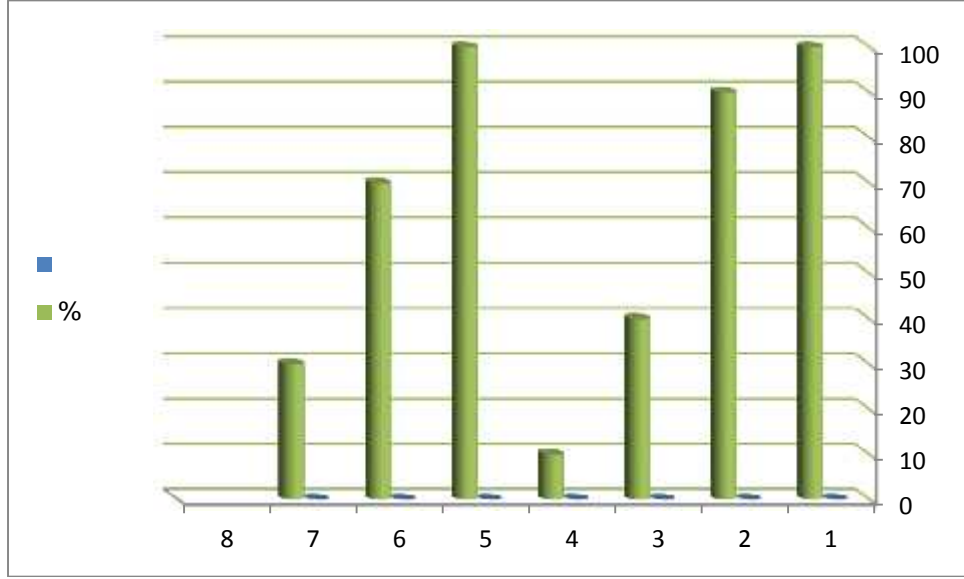
٢٠%	انتقاد بعض الشعائر	٩
-----	--------------------	---



الشكل (١) يبين نسب الجدول رقم (١)

جدول رقم (٢) النسبة المئوية لمحاور المقابلات في مدينة الكاظمية

ت	المحور	السبب	النسبة المئوية
١	العلاقة الروحية بين الزائر والمرقد	العلاقة بين الزائر والإمام (ع) والحدث	%١٠٠
٢	الخدمات العامة والسكن والخدمات البيئية (نظافة المدينة)	الخدمات العامة والخدمات البيئية	%٩٠
٣		خدمات السكن	%١٠
٤		خدمات النظافة والبيئة	%٤٠
٥	سبب تحمل عناء السفر والمتاعب للوصول الى مدينة كربلاء	من أسافر لأجله يستحق تحملي عناء وتعب السفر وفاءً ونصرةً	%١٠٠
٦	النصيحة والاقتراحات التي يقدمها الزائر	المحافظة على إقامة الشعائر بالشكل الصحيح	%٧٠
٧		انتقاد بعض الشعائر	%٣٠



الشكل (٢) يبين النسب المئوية للجدول رقم (٢)

الاستنتاجات:

أ- الاستنتاجات العامة :

- ١- هناك عدة نظريات مختلفة لنقل التصورات والصور الى الذهن بأساليب خاصة بكل نظرية مثل النظرية الحسية ونظرية الأفكار الفطرية ونظرية الانتزاع .
- ٢- كل شئ في الكون يتكون من مادة وصورة وهما عادة يكونان متلازمتان غي منفصلتان، فأين ما توجد صورة تكون المادة وأيضا تكون المادة توجد صورة .
- ٣- أصل كل مادة تتكون منه عدة صور بينها حركة انتقالية تكاملية أي الصور المتكونة من مادة أصلية واحدة تنتقل من صورة الى أخرى بشكل متكامل الى ان تصل الى الشكل النهائي او الصورة النهائية.
- ٤- لنظرية المادة والصورة أبعاد في الفكر الإسلامي تتجسد في جزاء الأعمال ونشأة الإنسان والإيمان .
- ٥- التماهي بشيء ما شخص كان أو معتقد هو التشبه به، فلسفة هذه الصفة وكيفية تطبيقها تستمد من خلال معرفة أمتاها به وكيفية الوصول إلى التشبه بصفاته عن طريق عمل أو تصرف أو إقامة شعيرة، وهذا يتبع السلوك المنطقي لإقامة هذه الطقوس وقوة المعتقد.

ب- استنتاجات الجزء الميداني:

- ١- العلاقة الروحية بين الإنسان الزائر من سكنة المدينة كان أو وافد من خارج المدينة هي علاقة مطلقة لا تحد ولا تقيس ونسبة ١٠٠%
- ٢- الاعتقاد بالشعائر الحسينية وإقامتها بالشكل الصحيح تقربهم إلى الله تعالى ببركة الإمام (ع)
- ٣- تحمل عناء السفر من بلدان بعيدة ولمسافات طويلة وفاءً للإمام ونصرته.
- ٤- بذل الأموال والجهد ليل نهار لخدمة الوافدين للزيارة و وفاء لصاحب المرقد.
- ٥- الانتماء إلى مدنهم المقدسة بشكل مطلق هو الذي يدفعهم لخدمتها وخدمة زائريها.

الهوامش:

- ١ علي حسن مطر -فلسفتنا الميسرة للشهيد السيد محمد باقر الصدر - ٢٠١٣ ص ٥-٩
- ٢ - العلامة السيد منير الخباز- علاقة المادة بالصورة - ٢٠١٤ ص ١
- ٣ - عبد القادر محمد الأحمر - المادة والصورة-ديوان العرب ٢٠١٢ ص ١
- ٤ - سورة ال عمران اية ٦
- ٥ - سورة المؤمنون اية ١٢-١٤
- ٦ - سورة الانفطار اية ٦-٨
- ٧ - العلامة السيد منير الخباز- علاقة المادة بالصورة - ٢٠١٤ ص ٣
- ٨ - العبيدي (حسن مجيد)، فلسفة المادة والصورة والعدم عند ابن رشد، منشورات دار نينوى- دمشق- سوريا، ٢٠٠٧، ص ٣١
- ٩ - سورة الطور اية ١٦
- ١٠ - سورة الزلزلة اية ٧-٨
- ١١ - سورة نوح ١٣-١٤
- ١٢ - سورة النساء اية ١٣٦
- ١٣ - سورة الروم ٣٠
- ١٤ - سورة الشمس اية ٧-٨
- ١٥ - سورة ال عمران اية ١٩١

- ١٦ - سورة الزمر آية ١٧-١٨
١٧ - سورة المائدة آية ٨٣
١٨ - العلامة الخباز مصدر سابق ص ٥
١٩ - سورة البقرة آية ١٥٨
٢٠ - سورة الحج آية ٣٢
٢١ - سورة الحج آية ٣٤
٢٢ - سورة الحج آية ٣٢
٢٣ - المصدر السابق ص ٧
٢٤ - الدكتور مصطفى حجازي - في كتابه: "سيكولوجية الإنسان المقهور"، الصادر عن معهد الإنماء العربي (ص ١٢٧)
٢٥ - (Laplanche and Pontalis-An Introductory Dictionary of Psychoanalysis - ١٩٦٧ : p٢٠٦)
٢٦ - قاسم حسين صالح-سيكولوجيا التماهي والطفوس الدينية في الزيارات المليونية - مركز الدراسات العلمانية في العالم العربي - ٢٠١٠ ص ٢
٢٧ - أديب مختار-الشعائر الحسينية في كتاب أمريكي- مجلة رسالة الحسين (ع) / العتبة الحسينية / العدد الخامس ٢٠١٢ ص ٣٣

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
١- علي حسن مطر -فلسفتنا الميسرة للشهيد السيد محمد باقر الصدر - ٢٠١٣ ص ٥-٩
٢- العلامة السيد منير الخباز- علاقة المادة بالصورة - ٢٠١٤ ص ١
٣- عبد القادر محمد الأحمر - المادة والصورة-ديوان العرب ٢٠١٢ ص ١
٤- سورة ال عمران آية ٦
٥- سورة المؤمنون آية ١٢-١٤
٦- سورة الانفطار آية ٦-٨
٧- العلامة السيد منير الخباز- علاقة المادة بالصورة - ٢٠١٤ ص ٣
٨- العبيدي (حسن مجيد)، فلسفة المادة والصورة والعدم عند ابن رشد، منشورات دار نينوى- مدشق- سوريا، ٢٠٠٧، ص ٣١

- ٩- سورة الطور آية ١٦
١٠- سورة الزلزلة آية ٧-٨
١١- سورة نوح ١٣-١٤
١٢- سورة النساء آية ١٣٦
١٣- سورة الروم آية ٣٠
١٤- سورة الشمس آية ٧-٨
١٥- سورة آل عمران آية ١٩١
١٦- سورة الزمر آية ١٧-١٨
١٧- سورة المائدة آية ٨٣
١٨- العلامة الخباز مصدر سابق ص ٥
١٩- سورة البقرة آية ١٥٨
٢٠- سورة الحج آية ٣٢
٢١- سورة الحج آية ٣٤
٢٢- سورة الحج آية ٣٢
٢٣- المصدر السابق ص ٧
٢٤- الدكتور مصطفى حجازي - في كتابه: "سيكولوجية الإنسان المقهور"، الصادر عن معهد الإنماء العربي (ص ١٢٧)
٢٥- (Laplanche and Pontalis-An Introductory Dictionary of Psychoanalysis - ١٩٦٧ : p٢٠٦)
٢٦- قاسم حسين صالح-سيكولوجيا التماهي والطقوس الدينية في الزيارات المليونية - مركز الدراسات العلمانية في العالم العربي - ٢٠١٠ ص ٢
٢٧- أديب مختار-الشعائر الحسينية في كتاب أمريكي- مجلة رسالة الحسين (ع) / العتبة الحسينية /العدد الخامس ٢٠١٢ ص ٣٣

